**قسم اللغة والأدب العربي س3**

**مادة :الشعر المغاربي الحديث**

**المحاضرة الثالثة:**

**شعر الإصلاح والنضال والثورة**

**تمهيد:** ظل المفهوم القديم للشعر يتمثل في التعريف المأثور«**الشعر هو الكلام المقفى الموزون** » ثم أضاف إليه المعاصرون قول الزهاوي:

إذا الشعر لم يهززك عند سماعه \*\* فليس خليقا أن يقـال له شعـر

أو قول شوقي: والشعر إن لم يكن ذكرى وعاطفة \*\* أو حكمة فهو تقطيع وأوزان

بهذا كان الشعر حتى منتصف القرن العشرين، صناعة تتوخى هز الوجدان والعقل عن طريق الوزن والقافية من جهة والذكرى والعاطفة والحكمة من جهة أخرى . لكنه ظل « **مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بمفهوم النقاد العرب القدامى** »**[[1]](#footnote-1)**. وهذا يعود بنا إلى ما التزم به أولئك الشعراء في الأغلب الأعمّ من تلك الشروط والتحديدات التي وضعها أمثالُ **قدامة بن جعفر** في كتابه ” نقد الشعر “، و**ابن قتيبة** في ”الشعر والشعراء “، و**الآمدي** في ” الموازنة “، و**الجاحِظ** في ” البيان والتبيين “ و**ابن رشيق** في ” العمدة “**[[2]](#footnote-2)**.

فهذا النوع من الشعر يأخذ بعين الاعتبار الخصائص الآتية:الاطلاع على الشعر القديم والتشبّث به وتقليده في الشكل غالباً وفي المضمون أحيانًا، وكذا الاهتمام بالمعايير النقدية التي وضعها القدماء (كروح الاعتدال في التعبير، وعدم الإيغال في الاستعارة وفي الخيال، والاهتمام بمراعاة المقام ومقتضى الحال اهتماماً جلياً، ووجوب اختيار البحر العروضي الملائم للغرض الذي يرغب الشاعر النظم فيه، وما تستوجبه صناعة الشعر من مراجعة وتنقيح). ونضيف النزعة الإحيائيّة المتأصِّلة والمؤصِّلة (الهادِفة) مع تفاوت الشعراء في موقفهم من رسالة الشعر في الحياة والمجتمع، وما يضفى على شاعريتهم من القيمة الاجتماعيّة، وإخلاصهم لأمانة الإصلاح والتوجيه ووحدة الصفوف والوقوف أمامَ أطماع النفعيين من المعمّرين ..الخ

**أ-حركة الشعر العمودي في المغرب العربي**

كان الشعراء المغاربة يعيشون فترة إحياء حقيقيّة، مما جعلهم يصدرون في نظرتهم إلى الشعر وماهيته عن نظرة تحاول إحياء تراث الأدب العربي إحياء كاملاً في أعمالهم الشعريّة**[[3]](#footnote-3)**، لأنّ الضعف والانحطاط اللّذين وصل إليهما هذا الشعر في تلك الفترة، إنما كان نتيجة حتمية، لما كانت تعانيه الثقافة العربية في المغرب العربي من اضطهاد رهيب، بعضه راجع إلى العهد التركي، وغلبه ناجِم عن الاستعمار الفرنسي الذي كان يهدف إلى استعمار استيطاني وغزو فكري ثقافي، علاوةً على تهميش اللّغة العربيّة وحصارها واجتثاث القوم من انتمائه ووضع قيود أمام المتطلِّعين إلى حياة ثقافيّة ” وطنية وإنسانيّة “ مشروعة إلاّ بتنازلاتٍ مقابل نصيب زهيدٍ من التعليم ” المفرنَس لبعض الأهالي المنتمين إلى طبقة اجتماعيّة ميسورة الحال نوعاً ما.

لقد عرف الشعر المغاربي العديد من المراحل النهضوية التي بدأت بالاتجاه الاصلاحي الذي حاول النهوض بالشعر من غيبوبته وركوده وساهم فيه رجال الاصلاح والفكر المتشبعون بالثقافة الاسلامية الدينية، وتكاد تكون هذه الاتجاهات نفسها التي عرفها الشعر في الوطن العربي، ويمكن أن نجد فيه تشعبات بعضه ذهب الى حد المطالبة بالتغيير الاجتماعي والسياسي مستفيدا من الأفكار الغربية والفلسفات وبعضه الآخر اقتصر على الاهتمام بالأمور الأدبية والنقدية متأثرا بالاتجاهات الأدبية التي ظهرت في الوطن العربي والغرب.

كانت النهضة في بلاد المغرب لا تختلف عن نظريتها المشرقية بحكم الروابط التاريخية والعامل السياسي والاجتماعي وهذه النهضة لا نقصد بها طبعا مدلولها الغربي الذي يشير الى ولادة جديدة للشعر بل الى فترة الحركية والتطور الذي عرفها الشعر بعد الجمود الذي استمر لقرون طويلة. وهنا يقول أحد الباحثين: **خيم الظلام على البلاد العربية بعد هجوم التتر والمغول فدمرت الحضارة وكانت كتبها طبعا للنيران ثم بعد ذلك بدا العثمانيون زحفهم بعد المغول .. فصاروا خلفا للمسلمين ..كان عهدهم جور وظلم**[[4]](#footnote-4). ربما لهذا كانت انطلاق الشعر العربي في المغرب العربي متأخرة مقارنة بالمشرق الذي انبعث فيه الوعي عندما هب العرب ينفضون عنهم غبار الكسل من مصر والشام الى العراق وراح يتسلل الى باقي الاقطار العربية.

عندما نتفحص حركة الشعر العمودي التي ظهرت في المغرب العربي في العصر الحديث نجد تناول الشعراء لموضوعات تتعلق بالمخترعات الحديثة الحضارية التي انتجتها الثورة الصناعية في الغرب منبهرا تارة وتائها تارة اخرى. أما باقي الموضوعات فهي تمس الوضع الاجتماعي العام تحت الاستعمار، حيث توالت الصيحات التي تنادي بتحرر المجتمع من الاستعمار والنضال والحرية والإصلاح الاجتماعي والفكري مع ما يتخلله من دعوات لإصلاح المرأة وتعليم الاطفال والأجيال خاصة ان **" المستعمر استطاع بوسائل متعددة ان يشوه الحضارة والثقافة بكافة عناصرها المادية بطرق المواصلات والأعلام والتقدم التكنولوجي ووسائل الانتاج وعناصرها المعنوية التي تتمثل بالأفكار والمعتقدات والأعراف والعادات والقيم والآداب العامة"** [[5]](#footnote-5).

اذن الشعر العمودي عاد للظهور على ألسنة بعض الشعراء في العصر الحديث، ومن ميزاته **"أن الشاعر ينظم قصيدته ضمن واحد من البحور المعروفة التي يبلغ عددها سنتى عشر بحرا أي التقييد بوزن البحر خلال القصيدة، أيضا يتكون البيت الشعري من شطرين متساويين وكل شطر يحتوي على تفعيلات متساوية.. أما ابيات القصيدة فتلتزم كلها بقافية واحدة "**[[6]](#footnote-6). إن الشاعر في هذا النمط الكتابي يسعى لتأكيد الأصل الذي "**يستعيد وجوده عبر اشكال وأصوات مختلفة هي تلك النصوص التي حددت الوزن مثلا او القافية كشرط للكتابة**[[7]](#footnote-7).

**1-شعر الإصلاح والنضال في الجزائر:**

ظلّ شكل القصيدة في الشعر الجزائري الحديث يجري على نمطه الذي كان سائدًا خلال العصور القديمة. محافظًا على شكل القصيدة التقليدية سواء في بحورها الخليلية أو قافيتها الموحدة.وقد تزامنت حركة الانتعاش الفكري والأدبي مع مناخ سياسي جديد بعد نهاية الحرب ع 2، حيث مضت الجزائر تزداد انفتاحا على العالم الخارجي عربيا وأوروبيا. خاصة بعد إدراك الجزائريين بالفروق الظالمة التي تنتهجها فرنسا في الجزائر، إلى جانب الصلة التي جمعت الجزائر بالمشرق وهنا لعبت الصحف والمجلات (كصحيفة **المؤيد**) دورا رياديا في الدعوة إلى النهضة ورفض الاستعمار وقد كانت تصلهم من تونس بفضل قله المراقبة بها

نضيف عامل الحجاج والذين بعد عودتهم من البقاع المقدسة كانوا يبعثون الحماسة وسط الأفراد ويوثقون الروابط الروحية والعقلية، كل ذلك جعلهم يرغبون في العودة إلى تلك المنابع الأدبية القديمة والاقتداء في ذلك بالمشرق العربي. وقد غلب على الحركة الطابع الديني مع نكهة من حركة الجامعة الإسلامية. وكانت أهم تجديدات الشعر متصلة بالموضوعات. وأصبح من أهم الأغراض الشعرية شعر الحماسة والكفاح ضد الاستعمار، والغناء للوطن، والدعوة للإصلاح الاجتماعي، والثورة ضد الفقر والجهل والمرض، والدعوة للحاق بركب الأمم.

أيضا الحديث عن الثورة الجزائرية كفضاء اشتغل عليه الكثير من الشعراء والكتاب، بسبب ضخامة هذه الثورة على المستوى العالمي لما قدمته من تضحيات جسام من شعب أعزل آمن بقضيته**،** وقد رافق هذه الثورة شعراء يدون بطولات مناضلوها الخالدة؛ في مُقدمة هؤلاء الشاعر الجزائري **الأمير عبد القادر** الذي كان شعره مرهنة على الهوية العربية واعلان عن رفضه للوجود الاستعماري، وهنا كانت تجربته الشعرية مليئة بروح الاستبصار والتعمق في احوال المجتمع الجزائري، ممتلئا بالاحداث والحماسة.يقول في ديوانه:

وما المرء بالوجه الصــبيح افتخاره ولكنه بالعقل، والخـــــــلق الأسمى

وإن جُمعت للـــــــــمرء هذي وهذه فذاك الذي لا يبتــــغي بعده ن عُمى

وبالنسبة لتيار التصوف في تجربة الأمير؛ فهو يبني على التأكيد على أن التصوف عنده ليس هو ذلك الاختلاء بالنفس، والنفور من بناء علاقات إنسانية راقية يمكنها أن تسهم في الرفع من مستوى علاقة الإنسان بربه. بل إن التصوف عنده هو ذلك التواصل الممتد بين الإنسان وأخيه الإنسان، بغية الإبقاء على طبيعة الإنسان الاجتماعية، ورفع مظاهر التزّمت والعنف عن الدين الذي مهما اختلفت مسمياته وطقوس.

يعتبر **الأمير** من رواد مدرسة التجديد والإحياء في المغرب العربي خصوصا ويبقى شعره ممثلا لهذه الفترة إلى جانب أصوات شعرية أخرى مثل ( **محمد الشاذلي القسنطيني** و**محمد بن عبد الرحمن الدسي** بقصائد في الاخوانيات والغزليات، وتميز في مدح الرسول (ص) ولدينا أيضا **عاشور بن محمد بن عبد الحنفي** الذي خرج مؤلفه في المدح **منار الأشراف** عن المنطق الإسلامي والدين إلا انه كان سيد القافية ورجل العبارة القوية و**عمر بن قدور** الذي سخر شعره للدفاع عن العقيدة وان كانت مشاعر الانكسار واضحة في شعره ولما كان من رواء الصحافة فقد دعا إلى تأسيس جماعة التعارف الإسلامي وشمال إفريقيا.

ومهما يمكن من شيء فأنهم التقوا في تكوينهم الإسلامي ومثلوا مرحلة الخروج من الغيبوبة إلى إرهاصات حديثة واعدة بحركة ثقافية أدبية نشيطة في مناخ سياسي جديد. وتألقت شخصيات أدبية كثيرة من بين الأسماء نجد **إبراهيم أبو اليقضان بن الحاج عيسى** الذي ترك مؤلفات مختلفة في الفقه والتاريخ والأدب ومن أهم ديوانه الشعري ديوان "**أبي** **اليقضان**" في جزأين ضم المديح والتهاني والفخر والحماسة والاستعطاف والحكم والوصف والعتاب وخض جزأه الثاني لثلاث موضوعات جوهرية في الجهاد الوطني والإصلاح والمراثي والمآسي. ومما لنا قصائد قالها بعد اتفاقيات ايفيان:

سكنت مدافعكم وخف دويها ولهيبها يــــــــــــــــــــــــا أيها الثوار

بدلتم العم المثلــث بالــــــــــــهلا ل ونجمة وكذلك الأنصار

وسرعان ما ألقت شخصية **العيد آل الخليفة** بظلالها على هذه الفترة بحيث حمل لقب شاعر الشباب وشاعر المغرب العربي وغيره من النعوت التي لم تكن تصدر عن الهوى وإنما هي قناعة بموهبة الرجل وتمكنه من أدواته الشعرية والصدق والإيمان العميق بوحدة أمته العربية والإسلامية إلى حد أن قال عنه الإبراهيمي: **إنه أول شعر حي رافق النهضة العامة وحدا قوافلها المغذة فاطرب وأول شعر جرى في عنانها وسجل مراحلها.**

من قصائده **استوحِ شِعرَك**

قـل للجزائـر أنـشئي كـليـة تمـحو جهالـة شعبـك المتسكِّـع

الجـهل أشبه بالغراب فـما لـه من منزل غيـر الخـراب البلقـع

وقيل كثيراً عن شعر "**محمّد العيد آل خليفة"** إنّه شعر المناسبات، والحال إنّ الشاعر بادر بكلّ اهتمام إلى ربط موضوعه الأبدي (الجزائر) ببعض قضايا الساعة في زمانه، وتنوعت موضوعات شعره بين تصريحاته للانتماء للعروبة والإسلام وإيمانه بضرورة الوحدة كحتمية تاريخية لمغادرة التخلف والدعوة إلى النهوض:

ومن شعراء هذه الفترة البارزين نجد **مفدي زكريا** الذي رافق نهوض الحركة الوطنية منذ العشرينات وازداد توقدا بعد الاستقلال فخدم وطنه من موقع المسؤولية الأدبية بحيث لعب شعره دورا مهما أثناء الثورة المسلحة. تاركا وراءه مخطوطا أدبيا وستة دواوين شعرية هي اللهب المقدس من وحي الأطلس، تحت ظلال الزيتون ، الخافق المعذب، إلياذة الجزائر

ففي "**اللهب المقدس**" نحس الإرادة الفولاذية التي أعلنت طيا لصفحة السياسة وفتحا لصفحة الرصاص: يا فرنسا قد مضى وقت العتاب فاستعدي وخذي منا الجواب

ويتضمن أيضا نشيدا يحرك المشاعر معلنا الحقيقة الثابتة أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة معتمدا أسلوب التعبئة الجهادية في يوم الجزائر التي جاءت في اثنين وتسعين بيتا يقول:

مددنا خيوط الفجر قم تصنع الفجرا وصغنا كتاب البعث قم ننشر السفرا

ورعنا الليالي الحبليات، فأجهضت ولم نك نخشــــــــــــــــــــــــــــــــــى عجائبها شرا

والى جانب الحس الوطني الثوري كان يتقي موضوعاته من قصص القرآن وفيها نزوع واضح إلى التأمل الفلسفي والغوص في التاريخ، موضوعها الأساسي قضية الإنسان العربي ومصيره الجماعي وصياغتها شحنة من الإيمان. من أهم قصائده من جبالنا طلع صوت الأحرار “1932 و”فداء الجزائر ووحي ومالي “1936 و”قسماً “1955، وأناشيد وطنية أخرى مثل "اعصفي يا رياح “ ونشيد الجيش الوطني ونشيد العمال ونشيد الطلبة، واللّهب المقدّس .. الخ.

**و**له قصيدة بعنوان **جَزائر مَا أشقاك بالجهل** يقول فيها**:**

جزائر ما أدهى خطوبا تعاقبـت عـليك، وكم لاقيت من خيبة المسعى

جـزائر ما أشقـاك بالجهل، إنّه إذ حلَّ شعبا ـ صاحِ ـ أورده النّزع

ويبدو أن هذه النماذج واضحة لتمثيل التيار الوطني الإصلاحي ورغم هيمنة الإطار التقليدي لديهم، فإن هناك جدة في الموضوعات، وقد امتد هذا التيار الشعري في إنتاج شعراء آخرين لاحقين لهؤلاء من بينهم **محمّد الهادي السنوسي الزاهري (1902 ـ 1974)** الذينشِر **النصّ الشَّـــــــــهيـــــد**مارس 1968،**[[8]](#footnote-8)** في مجلة (القبس)

علَم الجزائر كم جننت به جـــــــــــــــــــــنون متيم

أبصرت فيه جراحك الحمراء تشخب بالدم

وكذا الشاعر **"صالح خرفي"** الذي له عدة مؤلفات في الأدب من بينها الشعر الجزائري، صفحات من الجزائر، نفس الدار، ديوانان شعريان **(أطلس** **المعجزات**، **وأنت ليلاي** كما تمثله قصيدة نداء الضمير:

لا تلمني إن ترامت بي أمواج البعاد لا تلمني لم يزل يخفق للحب فؤادي

ونضيف الشهيد "**عبد الكريم بن العقون"** والشيح **أحمد سحنون** في تيار لم يجدد في الشكل، فقد كانت له إسهامات كثيرة معتبرة على مستوى المضامين والقضايا خصوصا بعمقها الإصلاحي والنضالي خلال أربعين سنة. وللإشارة فإن الحركة الأدبية في هذه الفترة ذات صلة وثيقة بالوضع الاجتماعي والوطني، حيث شهد قفزة نوعية وكمية تطورت فيه أشكالا قديمة كالفخر الذي عرف منحى وطنيا متطورا وناضجا، كما شاع الشعر السياسي القومي .

1. يُنظَر: محمّد ناصر، الشِّعر الجزائري الحديث: اتّجاهاته وخصائصه الفنيّة (1925 ـ 1975)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص.66. [↑](#footnote-ref-1)
2. يُنظَر: المرجع نفسه، ص.66. [↑](#footnote-ref-2)
3. يُنظَر: محمد ناصر، المرجع السابق، ص.67. [↑](#footnote-ref-3)
4. - طالب خليف جاسم السلطان، الأدب العربي الحديث "مختارات من الشعر والنثر"، ط1، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، 2014، ص29. [↑](#footnote-ref-4)
5. - المرجع نفسه، ص20. [↑](#footnote-ref-5)
6. - أنظر طالب خليف جاسم السلطان، الأدب العربي الحديث ص38. [↑](#footnote-ref-6)
7. - صلاح بوسريف، مضايق الكتابة، دار النجاح الجديدة، المغرب، ط1، 2002، ص18/19. [↑](#footnote-ref-7)
8. يُنظَر القصيدة كاملة: المرجع السابق، ص.43 ـ 50. [↑](#footnote-ref-8)